

السيرة الدرس العاشر حادثة القراء

الحمد لله وكفاء، والصلاة والسلام على النبي المصطفى صل الله عليه وسلم، طلابنا الكرام، مرحبا بكم، أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، سنستكمل في هذا الدرس بعون الله أحداث السنة الرابعة للهجرة والتي قد ذكرنا بعض منها في الدرس السابق، لقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أزمات وابتلاءات شديدة وهم في بداية إقامة الدولة الإسلامية ومن هذه الأزمات. فاجعة بئر معونة التي تعد من أشد الفواجع التي مرت بالمسلمين، فقد استشهد فيها 70 صحابيا من قراء القرآن الكريم. قتلوا غدرا وخيانا، وهذه الفاجعة التي وقعت في بئر معونة ينبغي الوقوف معها للاستفادة منها، وقد رواها الطبراني في معجمه والطبري في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن هشام في السير النبوية. يقول الخبر قدم أبو براء عامر بن مالك من ابن جعفر ملقب بملاعب الأسنة، أي الرماح على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام، ودعاه إليه. لم يسلم، وقال يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فادعهم إلى أمرك. رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو براء أنا لهم جار، فابعثهم، فليدعوا الناس إلى أمرك. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنظر بن عمرو أحد بني سعيدة في 70 من خيار المسلمين، منهم الحارث ابن الصماء، وحرام ابن ملحان، وهو خال أنس بن مالك، وغيرهم، فناهض. فنزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتابه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عامر بن

الطفيل، وعامر هذا هو ابن أخ مالك السابق، تكره الذي طلب أن يرسل النبي صلى الله وسلم بعض الصحابة لتعليم أهل نجد الإسلام، وتعهده أن يجيرهم، فلما أتاه حرام لم ينظر في كتابه، ثم عدا عليه فقتله، ثم بعد ذلك اصطنهض. من الطفيل إلى قتال الباقيين بني عامر، فأبوا أن يجيبوه، لأن أبا براء. أجارهم، فاستغاث عليهم بني سليم، فناهضت معه عصيا ورعل وذكوان وهم قبائل من بني سليم فأحاطوا بهم فقاتلوا فقتلوا كلهم رضوان الله عليهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنه ترك في القتلى وفيه رمق فرفع وبه جراح من القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق رضوان الله عليه وكان ضمن الصحابة. لو قتلوا إثنان، لم يشهدا هذه المؤامرة الغادرة، أحدهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، فأقبل يدافعان عن إخوانهما، فقتل صاحب عمرو، وأفلت هو، وسار راجعا إلى المدينة المنورة، وصل عمرو بن أمية ضمري رضي الله عنه إلى المدينة المنورة، حاملا معه أنباء المصاب الفادح مصرع 70 من أفاضل المسلمين، وقل رأيهم. تذكر نكبتهم الكبيرة بمصيبة يوم أحد، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح. وأولئك ذهبوا في خيانة وغدر، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل، قال صلى الله عليه وسلم للناس إن أصحابكم أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم، فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضين عنك، ورضيت عنا، وقد يقول قائل كيف يوافق النبي صلى الله عليه وسلم على إيفاد 70 من أصحابه مع أناس ليسوا بمسلمين، وفي جوار رجل لم يدخل الإسلام مع احتمال أن يكون هذا استدراجا لهم؟ ومكيدة للإيقاع بهم، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من رجاحة العقل والحكمة ما هو معروف به، والجواب على ذلك أولا إن حفظ الجوار كان من فضائل العرب، والخلق المتأصل فيهم، فكانوا في الجاهلية يدافعون عن الجوار، ويمنعون من حالفهم، أو استجار بهم، مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم، وتذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعد عودته من الطائف. الذين اعتدوا عليه في جوار المطعم، ابن عدي، وهو كافر، وتسليح هو وأبناؤه لحمايته من قريش القریش مع كفرهم، فاحتمال

الغدر مستبعد. ولا سيما أن القراء كانوا في جوار رجل له منزلته في بني عامر. ثانياً إن إرسال النبي صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن إلا حلق من حلقات الدعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل الله، ثم أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا شهداء؟ فهذا ما كانوا يرجونه رضوان الله عليهم. ثالثاً أظهرت هذه المؤامرة عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم للغيب إلا ما علمه الله له، إذ لو كان يعلم الغيب ما أرسل أصحابه. ليقتلوا، لقد حزن النبي صل الله عليه وسلم حزناً شديداً، وتأثر لمقتل أصحابه رضي الله عنهم في بئى معونة تأثراً كبيراً، حتى قال أنس رضي الله عنه فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليه أي من الحزن، فقد كان عددهم يساوي عدد شهداء أحد، إضافة إلى أنهم من القراء العباد، وقد قتلوا غدراً وخيانة، ومن ثم ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على من؟ قتلهم شهر كاملاً، وقد أظهرت حادثة بئر معونة، وما حصل للمسلمين فيها حقيقة المشركين، وشدة عداوتهم للمؤمنين. بهم، حينما تسنح فرصة للغدر، كما تبرز حجم الابتلاء الذي ابتلي به هؤلاء الصحابة، فقد خرجوا يعلمون الناس القرآن والإسلام، فقتلوا خيانة وغدراً، وليس المسلمون اليوم بأكرم على الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، الذين ابتلوا أشد الابتلاء، فثبتوا على دينهم، وبذلوا نفوسهم وأرواحهم لله عز وجل، وكان أشد شيء حرسوا عليه أن يبلغوا، أو أن يبلغوا النبي. صلى الله عليه وسلم، ويبلغ إخوانهم ورضاهم عن الله تعالى بما أكرمهم الله به من الكرامة والشهادة، وبما أسبغ عليهم من الرضا عنهم، حتى قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا إلى هنا، نكون قد أنهينا درسنا اليوم، أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.